من روائع الأدب الواقعي الإسلامي

كيد معاوية

ليقيده الحسين بن علي

للأستاذ دريني خشبه

— ١ —

(في قصر يزيد بن معاوية ليلا)

يزيد — وبعدُ يا رقيق ؟

رقيق — وبعدُ ماذا يا مولاي ؟

يزيد — في أمر أبي معاوية أمير المؤمنين ؟ !

رقيق — أحسن أمر يا مولاي ! أبوك كاتب الرسول ، وأمير المؤمنين ، و ... و ... لا ...

يزيد — و ... لا ... ماذا يا رقيق ؟ أتخفي عليّ شيئاً وأنت وصيي المخلص ... ؟

رقيق — وقد أخذ لك العهد من بعده ، والسيوف مسلولة على رأس الحسين بن علي وعلى من معه !

يزيد — ما هذا قصدت !

رقيق — فما قصدت ؟ !

يزيد — قد كنت أعرف من جميل رأيه وحسن نظره في جميع الأشياء ، ما الثقة في ذلك ، والتوكل عليه ، منّي من البوح بما جَمْجمت في صدري له وطلابه إليه ، فأضاع وترك من النظر في شأني ... فالله يجزيه عني بإحسانه ، ويغفر له ما اجترح من عهده ونسيانه

رقيق — وماذا لك جُعلت فداك ؟ !

يزيد — ... ؟ ...

رقيق — ألا لا تسلم على تضييعه إياك فانك تعرف تفضيله لك ، وحرصه عليك ، وما يخامره من حبك ، وأن ليس شيء أحب إليه منك لديه ، فاذكر بلاءه واشكر حياءه ، فانك لا تبلغ من شكره إلا بعون من الله !

يزيد — ... هذا حق يا رقيق ... هذا حق ... وا أسفاه على ما فرط مني !

— ٢ —

(في قصر الخلافة)

حاجب — رقيق ، وصيف سيدي يزيد يا مولاي

رقيق — السلام على أمير المؤمنين

معاوية — وعليك السلام يا رقيق ، ماذا جاء بك ؟

رقيق — رسالة من سيدي يزيد !

معاوية — ماذا قال لك ؟

رقيق — إنه شكا إليّ فقال ، ولم أدر ما عني

الخاصة وأدلته القاطعة أن رجال البوليس السري لا يعلون في الذكاء على الحمير ، ألقى التحية على المأمور ، وأومأ برأسه إلى الشرطي ، وخرج منصوراً فخورا !

* * *

كانت إميلي جالسة صباح ذلك اليوم في ردهة (البلاس أوتيل) في كوبنهاجن حين أقبل عليها لوماكس هردر وفي يده صحيفة إنجليزية ، فقرأ عليها تفاصيل التحقيق وقرار المحكمين بأن فرانتينج قضى منتحراً . فنال من المرأة الشابة هذا الخبر فبكت زوجها أحر بكاء . ونظر إليها هردر نظر الحنان والعطف وقال في نفسه : إن الزمن بلسم الفؤاد الجريح . أما أنا فقد أكرهت على ما فعلت . وسيكون هذا السر بيني وبين نفسي حتى ألقى الله

« مجلة مرسان ٢ فبراير »

الزيات

معاوية — ويحك ! انطلق فادعه إلى ، والله ما أضعنا منه إلا رحمة له وكراهية لما شجاه وخالف هواه

(يخرج وتدخل ميسون زوج معاوية)

ميسون — لأمر ما كان رقيق هنا الساعة ؟ أمن عند يزيد أقبل ؟

معاوية — من عنده أقبل ، ولست أدرى لماذا ؟

ميسون — أيكون به مرض ؟

معاوية — ما به هذا ، ولكنى أعرف ما به ، إنه داؤه القديم عاوده !

ميسون — داؤه القديم ؟ ! وما داؤه القديم يا معاوية ؟

معاوية — أُرَينب ابنة اسحاق !

ميسون — وما فى الدنيا من هى خير من أُرينب فتشغله عنها ؟

معاوية — لكنه الحب يا ميسون ! أما والله ما رأيت فى بنات العرب من لها لفتتها وإشراقها وحسن مبسمها وهضيم كشحها وأريج رياها !

ميسون — لكنها تزوجت ، وعليها الآن عبد الله بن سلام [1] عاملك على العراق !

معاوية — يا لك ؟ ! أيضيق بهذا معاوية وما ضاق بابن أبى طالب من قبل ؟ !

ميسون — إذن ! ...

معاوية — إذن ... تسكتى !

— ٣ —

(تخرج ميسون ويدخل يزيد)

يزيد — السلام على أمير المؤمنين

معاوية — وعليك السلام يا يزيد من أب ساءه ما قلت ! ماذا أضعنا من أمرك وتركنا من الحيطة عليك وحسن النظر لك حيث قلت ما قلت لرقيق ؟! قد تعرف رحمتى بك ، ونظرى فى الأشياء التى تصلحك قبل أن تخطر على وهمك . وكنت أظنك على تلك النعماء شاكراً ، فأصبحت بها كافراً ، إذ فرطت من قولك ما ألزمتنى فيه إضاعتى إياك ، وأوجبت على منه بالتقصير ؛ لم يزجرك عن ذلك تخوف سخطى ، ولم يحجزك دون ذكره سالف نعمتى ، ولم يردعك عنه حق أبوتى ! فأى ولد أعق منك وأكيد ، وقد علمت أنى تخطأت الناس كلهم فى تقديمك ، وتزلتهم لتوليتى إياك ، ونصبتك إماماً على أصحاب رسول الله عليه وسلم ، وفيهم من عرفت وحاولت منهم ما علمت ! [1]

يزيد — (وقد أخذته الرجفة ، وأخذ ينفصد من العرق) أبى يا أمير المؤمنين ! لا تلزمنى كفر نعمتك ولا تُنزل بى عقابك ، وقد عرفت نعمة مواصلتك ببرّك ، وخطوتى إلى كل مايسرك فى سرى وجهرى فليكن سخطك ، فإن الذي أرثى من أعباء حمله وثقله ، أكثر مما أرثى لنفسى من أليم مابها وشدته ؛ وسوف أعلمك أمرى ... كنت قد عرفت من أمير المؤمنين استكمل الله بقاءه ، نظراً فى خيار الأمور لى ، وحرصاً على سياقها إلىّ ... وأفضل ما عسيت أستعدُّه بعد إسلامى المرأة الصالحة ... وقد كان ما تحدث به من فضل جمال أُرينب بنت إسحاق ، وكمال أدبها ما قد سطع وشاع فى الناس ، فوقع منى بموقع الهوى فيها ، والرغبة فى زواجها ، فرجوت ألا تدع حسن النظر لى فى أمرها فتركت ذلك حتى استنكحها زوجها ، فلم يزل ما وقع فى خلدى ينمو ويعظم فى صدرى حتى عيل صبرى ، فبحتُ بسرى . فكان مما ذكرت تقصيرك فى أمرى ، فالله يجزيك أفضل من سؤالى وذكرى !!

معاوية (وقد آله بكاء يزيد) — مهلاً مهلاً يا يزيد

(١) ابن قتيبه ، ولم يذكره الطبرى

(١) يشير معاوية إلى ما صنع مع الحسين فى أخذ العهد ليزيد فقد أوقف فوق رأسه وفوق كل من رؤوس أصحابه رجلين شاكي السلاح بحيث لو احتج أحدهم لقتلاه !

يزيد — علام تأمرنى بالمهل ، وقد انقطع منها الأمل ؟

معاوية — فأين حجاك ومروءتك وتُقاك ؟!

يزيد — قد يغلب الهوى على الصبر والحجا ، ولو كان أحد ينتفع فيما يبتلى به من الهوى بتُقاه ، أو يدفع ما أقصده بحجاه ، لكان أولى الناس بالصبر داود عليه السلام ، وقد خبرك القرآن بأمره

معاوية — فما منعك قبل الفَوْت من ذكر ما بَـتَلك ؟

يزيد — ما منعنى ؟ منعنى ما كنت أعرفه وأثق به من جميل نظرك

معاوية — صدقت يايزيد ! ولـكن اكتم يابنى أمرك بحلمك ، واستعن بالله على غلبة هواك بصبرك ، فإن البوح به غير نافعك ، والله بالغ أمره ، ولا بد مما هو كائن

— ٤ —

(معاوية وميسون)

معاوية — ألم أقل إنه الهوى وحُرَق الحب ؟

ميسون — أرجو ألا تـكون قد لِنت له ولا أن تـكون قد قسوت عليه فيجن جنونه فى الحالين !

معاوية — بل أخذته بهما معاً ، وإنى مُزوّجه من أُرينب حتى لا يعاوده هواه فيُفسد عليه أمر الخلافة .

ميسون — تزوجه من أرينب وهى تحت رجل من عمالك يا معاوية ؟

معاوية — ولم لا ؟ أهي أعقد من نصر حصلنا عليه من هزيمة مؤكدة ؟

ميسون — وزوجها ؟ ! إنه يهواها ، ولا يزن الدنيا كلها بها ... ثم هى ... إنها تهواه وتخلص له الحب ...

معاوية — سترين يا ميسون كيف أملك من شيطان الهوى ما ملـكت من شياطين العرب قبل

(وينادى) يا غلام ! (يدخل غلام حدث)

معاوية — قرطاساً ويراعةً يا غلام !

(يخرج الغلام فيغيب لحظة)

ميسون — هذا أمر له ماوراءه ، وإن ألسنة العرب ما تزال إلباً عليك ، والرأى أن نشغل ابننا برومية أو شآمية تخلبه ...

معاوية — أية رومية وأية شآمية يا ميسون ؟ إنها أُرينب ... وإنه الحب !

(يدخل الغلام بالقرطاس والقلم)

معاوية — (يكتب لحظة) أتقرأين يا ميسون ؟

ميسون — (تقرأ) ... وأى حظ لابن سلام يا ترى فى أن يُقبل ؟

معاوية — ستعرفين قصيراً يا ميسون ؟

— ٥ —

(فى قصر ابن سلام بالعراق)

ابن سلام — يا لها من رؤيا يا أرينب !

أرينب — أية رؤيا يا عبد الله !

ابن سلام — ليل ينجاب ولـكن لا يطلع صبحه !

أرينب — أكان فيه قمر يا عبد الله ؟ !

ابن سلام — ولم يكن فيه إلا نجم واحد يلمع ، تُقبل عليه أنجم ضئيلة تدخل وتطلع ...

أرينب — أجل هذه رؤيا ، وإنى صاحبتها ..

(يدخل رسول)

الرسول — السلام على عامل أمير المؤمنين

ابن سلام — وعلى رسول أمير المؤمنين السلام

(ويتسلم الرسالة) (يخرج الرسول)

ابن سلام — (بعد أن يقرأ الرسالة) أرينب ، جعل الله رؤياى حقاً ... خذى فاقرأى

أرينب — بل اقرأ أنت ، فقد أزعجتنى رؤياك

ابن سلام — (يقرأ) أقْبِلْ حين تنظر فى كتابى هـذا ، لأمر حظك فيه كامل ، ولا تتأخر عنه ، فأغِذّ المسير والاقبال (ينظر إلى أرينب)

أرينب — إى والله ! إنى صاحبة رؤياك ، وإن

الله جاعلها حقاً ...

ابن سلام — ماذا يا أرينب ؟ ! أمير المؤمنين يدعوني لأمرٍ حظي فيه كامل

أرينب — وحظي فيه عاثر يا عبد الله !

ابن سلام — وكيف ؟

أرينب — أما وكيف ... فـ ... عساك لم تكن تعلم بما أبدى يزيد من الرغبة في زواجي ، وما كان من تفضيلنا إياك ، لحب تبادلناه وجاهٍ رغبناعنه ...

ابن سلام — أرينب ماهذه الوساوس ؟ اطمئني يامنية القلب . إن أكبر ظني أنها ولاية جديدة أعظم من العراق ... لابد أن أسافر وأن أغذّ المسير كما أمر مولاي أمير المؤمنين ... أرينب (وينهض إلى خزانة من حديد) إليك جل مالي ، وخيرة ما ادخرت للمستقبل (يقدم إليها بدرات)

أرينب — بل دعها حيث كانت يا عبد الله ... واضرع إلى الله أن يرعاك وأن يجنبك كيد ابن أبي سفيان

— ٦ —

(في قصر الخلافة بدمشق)

معاوية — مرحباً بكما يا حبيبيّ ، وصاحبيّ رسول الله ...

أبو هريرة — مرحباً بك يا أمير المؤمنين

أبو الدرداء — مرحباً بك يا صفيّ رسول الله وكاتبه الأمين !

معاوية — أما والله لقد دعوتكما لتمحضانيَ النصيحة ، وإني لأعلم أنكما من أحب الناس إلى رسول الله

أبو هريرة — صلى الله عليه وسلم يا أمير المؤمنين

معاوية — إن الله قسم بين عباده قِسَماً ، ووهبهم نعما ، أوجب عليهم شكرها ، وحتم عليهم حفظها ، وأمرهم برعاية حقها ... وقد حباني عزّ وجل بأعز الشرف ، وسمو السلف ، وأفضل الذكر وأغدق اليسر ، وأوسع عليّ في رزقه ، وجعلني راعيَ خلقه ، وأمينه في بلاده ، والحاكم في أمر عباده ، ليبلوني أأشكر أم أكفر ... وأول ما ينبغي للمرء أن يتفقده ، وينظر فيه فيمن استرعاه الله أمره من أهله ، ومن لا غنى به عنه ... وقد بلغت لي ابنة أردت إنكاحها ، والنظر في تبعّل من يريد أن يباعلها ... وقد رضيت لها عبد الله بن سلام ، لدينه وفضله ، ومروءته وأدبه ... فماذا تقولان أثابكما الله ؟

أبو الدرداء — إن أولى الناس برعاية أنعم الله وشكرها وطلب مرضاته فيها ، فيما خصه به منها ، أنت يا صاحب رسول الله وكاتبه

أبو هريرة — وإن عبد الله بن سلام خير من يصهر إلى أمير المؤمنين

معاوية — إذن ، فاذكرا له ذلك عني ... وقد كنت جعلت لها في نفسها شورى غير أني أرجو أنها لا تخرج عن رأيي إن شاء الله

— ٧ —

(معاوية في مخدع ابنته)

معاوية — أيْ بُنيّة !

عاتكة — أبي أمير المؤمنين !

معاوية — جئتك في تدبير فلا تفسديه ، وإنك لأنت الأديبة الأريبة !

عاتكة — لك أن تأمر يا أبي

معاوية — سيطرق بابك صاحبا رسول الله أبو هريرة وأبو الدرداء ، فإذا عرضا عليك أمر عبد الله بن سلام وإنكاحي إياك منه ، ودَعواكِ إلى مباعلته ، وحضاك على ملاءمة رأيي ، والمسارعة إلى هواي ، فقولي لهما : عبد الله كفء كريم وقريب حميم ، غير أن تحته أرينب ابنة إسحاق ، وأنا خائفة أن يعرض لي من الغيرة ما يعرض للنساء ، فأتولى منه ما أسخط الله فيه ، فيعذبني عليه ، فأفارق الرجاء وأستشعر الأذى ، ولست بفاعلةٍ حتى يفارقها

(يطرق الباب رسول)

الرسول — مولاى أمير المؤمنين ، لقد وصل عبد الله بن سلام من العراق

معاوية — لينزل على الرحب والسعة فى أحد منازل الخلافة ، وليكرم الجميع عنى مثواه

— ٨ —

(فى منزل ضيافة عبد الله)

أبو الدرداء — أبشر ياعبد الله ! أمير المؤمنين يؤثرك على العالمين !

ابن سلام — وما ذاك جعلت فداك !

أبو هريرة — لقد تخير لعاتكة بعلاً فاختارك لها ، فيا للبشرى !

ابن سلام — أمير المؤمنين يمنحنى هذا الشرف؟

أبو الدرداء — ولهذا أرسل إليك !

أبو هريرة — وهو يحبك حبه يزيد ... أو يزيد !

ابن سلام — أما والله لقد والى علىّ نعَمه ، وأسدى ، وأسدى على من مننه ... ثم هو يريد إخلاطى بنفسه ، وإلحاق بأهله ، إتماماً لنعمته ، وإكمالاً لإحسانه ، فالله أستعين على شكره ، وبه أعوذ من كيده ومكره ! اذهبا يا صاحبىّ رسول الله فاخطباها إليه علىّ ، وبالله توفيق

— ٩ —

(فى منزل الخلافة)

أبو الدرداء — السلام عليك يا أمير المؤمنين

معاوية — وعليكما السلام ياصاحبى رسول الله ما وراءكما من عند عبد الله ؟ !

أبو هريرة — لقد أبدى من الجذل ما ألهج لسانه بشكرك والثناء عليك ، وقد جئنا خاطبين عاتكة عليه !

معاوية — يالله ! لقد كنت أخبرتكما بالذى جعلت لها فى نفسها من الشورى ، فادخلا إليها واعرضا عليها الذي رأيت لها ، تم الله لها بخير !

— ١٠ —

(فى منزل ضيافة عبد الله)

أبو الدرداء — ويحك ياعبد الله ! إن عاتكة تغار ممن تحتك !

ابن سلام — عاتكة بنت أمير المؤمنين تغار من أرينب ابنة إسحاق ؟ !

أبو هريرة — هو ذاك ... ولن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم !

ابن سلام — وماذا تشترط عاتكة ؟

أبو الدرداء — أن تطلق صاحبتك فيعوضك الله وأمير المؤمنين خيراً منها !

ابن سلام — إذن أشهدكما على طلاق أرينب ، فانطلقا إلى أمير المؤمنين فاخطبا إليه عاتكة !

— ١١ —

(فى منزل الخلافة)

معاوية — ما وراءكما يا صاحبَىْ رسول الله ؟

أبو الدرداء — طلّق عبد الله امرأته ونحن عليه شاهدان !

معاوية — ولِمَهْ ؟ !

أبو هريرة — أبت عاتكة إلا أن يفعل ذلك إذا أرادها زوجة له . وأرى أنها كانت تحسبه لا يطيق فراق أرينب فاشترطت ذلك للتخلص منه ، لكنه فعل ، ونحن خاطباها إليك عليه إن شاء الله !

معاوية — ولِمَ لم أعلم بهذه الخطوة قبل أن تذهبا إليه وقبل أن يقع ما وقع ؟

أبو الدرداء — تالله لقد حسبنا أن هذا يسرك ، فأما وأنت عن هذا غير راض فليت ما كان لم يكن

معاوية — تالله ما أستحسن له طلاق امرأته ولا أحببته ، ولو صبر ولم يعجل لكان أمره إلى مصيره ، فان كون ما هو كائن لا بد منه ولا محيص عنه ، ولاخيرة للعباد فيه ، والأقدار غالبة ، وما سبق فى علم الله لابد جار ، فانصرفا فى عافية ، ثم تعودان إلينا فيه ، وتأخذان إن شاء الله رضانا !

(يسلمان وينصرفان)

— ١٢ —

(فى مخدع عاتكة)

معاوية — الآن يا ابنتى أوشك أن ينتهى دورك، فإذا جاءك صاحبا رسول الله يعرضان خطبة عبد الله عليك، فلا تنسى أنه ليس لك بأهل ، فامدحيه لهما وردّيهما

عاتكة — رحم الله ابن الخطاب يا أبتاه !

معاوية — وما ذاك يا بُنيّة ! ؟

عاتكة — إذ قال لقوم من المسلمين معجبين بدهاء كسرى وحسن سياسته : « لا تذكروا كسرى وفيكم معاوية[1] »

معاوية (متضاحكا) — والله ياعاتكة لقدأنسيته !!

— ١٣ —

(فى مخدع عاتكة)

أبو هريرة — لقد رضيك عبد الله يا بنت أمير المؤمنين وطلق ابنة إسحاق !

عاتكة — علمت من قبل ، وليته ما فعل !

أبو الدرداء — ولم يا عاتكة !

عاتكة — ذلك أنى كنت أرجو أن أكون له لما سمعت من حسن أحدوثة الناس عنه ، وعلو قدره فى قريش ، وجميل بلائه فى الاسلام ؛ بيد أنى حينما استبرأت أمره ، وسألت عنه ، وجدته غير ملائم ولا موافق لما أريد لنفسى ، مع اختلاف من استشرته فيه ... ألا وقد نزل الرجل من اعتبارى حين رأيته ينزل بهذه السهولة عن أرينب التى هى خير منى ، وأوفر جمالاً ومحبة ، بعد طول العشرة ، وصفو المودة ... أما والله إنه ما يستأهل منها ظفراً ولا قلامته ؛ وتالله إنه ما تهالك علىّ إلا وله مآرب عند أبى ، وفى نفسه أطماع من زخارف الحياة. فاذهبا مأجورين أثابكما الله !

— ١٤ —

(عراقيون وشاميون يتسامرون)

عراقى — أرأيت يا أخا العرب كيف خدع صاحبكم عبد الله ؟

شامى — ومنذ الذى نجا من كيد ابن أبى سفيان ؟ ألم يخدع ابن العاص وهو ثعلبة العرب !

عراقى آخر — وَىْ ! خدعه ابن أبى سفيان حتى طلق امرأته ، وإنما أرادها لابنه ، فبئس ما استرعاه الله أمر عباده ، ومكنه فى بلاده ، وأشركه فى سلطانه

شامى ثان — المغفل عبد الله يا صاح ! كيف نزل عن صاحبته قبل أن يتمكن من عاتكة ؟

عراقى ثالث — لقد دعاه معاوية من العراق لهذا الأمر

عراقى رابع — فانظر كيف خدعه !

عراقى خامس — وما صنع عبد الله يا صاح ؟ !

شامى ثالث — حبسه أمير المؤمنين فى جنة ما كان يحلم بها !

شامى رابع — بل هو فى لوعة وشجن ! لقد والله براه الحزن ، وأوهاه الكمد ، ولقد رأيته فما عرفته لولا أن دلنى عليه ماضيه الذى يترقرق دموعاً من عينيه ، ويصعّد آهاتٍ من صدره ! وبلغنى أنه أذهب ما كان معه من المال فى الهدايا والرشا ليخلص مما هو فيه ، ولينطلق إلى العراق ، وهو ما يستطيع !

— ١٥ —

(فى حضرة معاوية)

معاوية — ماذا يقول الناس يا أبا الدرداء ؟ أتشهد علىّ أننى خدعت ابن سلام ، وإنما والله أنا الذى لعاتكة خطبته ؟ !

أبو الدرداء — والله ما شهدت بهذا أبداً ... فأنا أعرف من هذا الأمر ما لم يعرفه غيرى وغير أبى هريرة !

معاوية — إذن ، فلم لاتتكلمان فى الناس بهذا ؟

أبو الدرداء — وما يهمك من الناس يا أمير المؤمنين ما دمت براء مما يهرفون ؟ !

(١) الطبرى ج ٦

معاوية — تالله إن فى نفسى لشيئاً يا صاحب رسول الله ! أو لم تَنْتَه أقراء[1] بنت اسحاق ، فتذهب أنت إلى العراق لتخطبها على ولدى يزيد ؟ !

أبو الدرداء — نِعِم ونِعما يا أمير المؤمنين ! والله إنه لرأى ! وإنك لتعوّض أرينب كفءاً بكفء

معاوية — إذن فاذهب ، وافرش لها الطريق من العراق إلى الشام ذهباً !

— ١٦ —

« فى منزل الحسين بالعراق »

أبو الدرداء — السلام عليك يا ابن بنت رسول الله يا سيد شباب أهل الجنة !

الحسين — مرحباً مرحباً بك يا أبا الدرداء يا صاحب رسول الله وجليسه ! والله يا أبا الدرداء لقد أحدثت لى رؤيتك شوقاً إلى رسول الله ، وأوقدت مطلق أحزاني عليه ، فانى ما رأيت منذ فارقته أحداً كان له جليساً وإليه حبيباً إلا هملت عيناى وأحرقت كبدى أسى عليه وصبابة إليه ! (ويبكي أحر البكاء)

أبو الدرداء — (وهو يبكى مستخرطاً فى البكاء) جزى الله لُبانة أقْدَمَتْنا عليك وجَمَعَتنا بك خيراً يا ابن بنت رسول الله !

الحسين — والله إنى لذو حرص عليك ، ولقد كنت بالاشتياق إليك !

أبو الدرداء — أرسلنى معاوية خاطباً على ابنه يزيد أرينب ابنة إسحاق ، فرأيت ألا أبدأ بشىء قبل إحداث العهد بك ، والتسليم عليك ، لأنك الآن سيد أهل العراق

الحسين — والله يا أبا الدرداء لقد هالنى ما نال ابنة إسحاق فَرَقٌ لها قلبى ، وأردت نكاحها لأخفف عنها ، لكنى قلت : أرسل لأبى الدرداء حبيب جدى رسول الله أستشيره . وها قد أتى الله بك ، وهى صدفة خير من ميعاد . فهلم رحمك الله فاخطب علىّ وعليه ، ولتختر هى من اختاره الله لها ، وإنها أمانة فى عنقك حتى تؤديها إليها ، وأعطها من المهر مثل ما بذل لها معاوية عن ابنه

أبو الدرداء — أفعل إن شاء الله يا ابن بنت رسول الله !

— ١٧ —

(فى منزل عبد الله بن سلام)

أبو الدرداء — والله يا أرينب لقد جزعنا لك ، وأهمنا أمرك ، وها قد عوّضك الله خيراً من صاحبك . يزيد بن معاوية أمير المؤمنين وخليفته من بعده ... أو ... الحسين بن على ابن بنت رسول الله ، وسيد شباب أهل الجنة يوم القيامة .. وقد بلغك سناهما وفضلهما ، وجئتك خاطباً عليهما ، فاختارى أيهما شئت ، وقد وكلانى !

أرينب — (بعد صمت طويل) : يا أبا الدرداء ! لو أن هذا الأمر جاءنى وأنت غائب عنى ، لأشخصت فيه الرسل إليك ، واتبعت فيه رأيك ، ولم أقطعه دونك ، على بعد مكانك ، ونأى دارك ، فأما إذا كنت المرسل فيه فقد فوضت أمرى بعد الله إليك ، وجعلته فى يديك ، فاختر لى أرضاهما لديك ، والله شهيد عليك ، واقض فيه قضاء ذى التحرى التقى ، ولا يصدّنك عن ذلك اتباع هوى ، فليس أمرها عليك خفيًّا ، وما أنت عما طوقتك عميًا ... أما ابن سلام ! فوا أسفاه مع ما فرط منه عليه !!

أبو الدرداء — أيتها المرأة ! إنما علىّ إعلامك ، وعليك الاختيار لنفسك !

أرينب — عفا الله عنك يا أبا الدرداء ! إنما أنا بنت أخيك ، ومن لا غنى بها عنك ، ووالله لأقطع

(١) الأقراء جمع قرء بفتح القاف عدة مرات الحيض ويقصد بها هنا عدة مرات الحيض المشروعة بعد الطلاق لتحل المرأة لغير مطلقها واختلفوا فى اللفظ ، وبعضهم يجمعه على قروء بالضم ، والعلماء على أن قروء جمع قرء للطهارة

فى هذا الأمر إلا بما تشير به علىّ ، ولا أصدر فيه إلا عن رأيك !

أبو الدرداء — أىْ بُنيّة ! ابن بنت رسول الله أحبهما إلىّ ، وأرضاها عندى ، والله أعلم بخيرهما لك ! وقد كنت أرى رسول الله يضع شفتيه على شفتىْ الحسين يقبلهما ، فضمى شفتيك حيث وضع شفتيه رسول الله !

أرينب — قد اخترته إذن ورضيته ، وأنعم بابن بنت رسول الله وحبيب رسول الله !

— ١٨ —

(فى منزل الحسين بالعراق)

الحسين — انظر يا غلام من الطارق !

الغلام (بعد برهة) — رجل أغبر أشعث يا مولاى ، يبدو أنه يطلب سؤلا !

الحسين — ولم لا تعطيه يا غلام ؟

الغلام — خشيت يامولاى ، لأنه يلح فى لقائك

الحسين — وماذا يحبسنا عن الناس؟ أدعه فليدخل

(يدخل الرجل) من ؟! مرحباً مرحباً يا أخى عبد الله !

عبد الله (والعبرات تترقرق في عينيه) السلام عليك يا ابن بنت رسول الله !

الحسين — وعليك سلام الله يا ابن سلام ! أمحزون أنت ؟

ابن سلام — إى والله ! ولكنى جئتك فى مسألة حبذا لو قضيتها لى ... لقد أصفرت [1] بعد هذه النكبة التى اجتاحت يدى وقلبى معاً ، وقد كنت استودعت أرينب بدرات من الدر والجوهر هى جل مالى ، فلو كلمتها فيها لترد علىّ شيئاً منها أستعين به على حالى ...

الحسين — حباً وكرامة يا ابن سلام ، فانتظر

(يخرج الحسين فيغيب لحظة ثم يدخل) هل من حرج فى أن تقدمها إليك أرينب بيدها يا ابن سلام ؟

ابن سلام — هذا تفضل يا ابن بنت رسول الله !

الحسين (ينادى) — هلمى يا أرينب

(تدخل مسربلة فى سواد)

أرينب — السلام عليك يا عبد الله ! هاك بدراتك ، والله ما امتدت إليها يد ، وما عرفت ما بداخلها إلا منك !

ابن سلام — شكراً لك يا ابنة إسحاق (يحل رباط واحدة ويقدم لها ما فيها) لشد ما يسعدنى أن تقبلى هذه منى ! (ويبكى بكاء شديداً)

أرينب — لا والله ما أمد إليها يدى ، وإنى لفى سعة من فضل الحسين !

الحسين — يا ابن سلام ! أيسرك أن تكون أرينب لك ؟

ابن سلام — حسين ؟ ماذا تقول ؟ !

(تتحدر دموعه على خديه)

الحسين — وأنت يا أرينب ! والله ما صنعت الذى صنعت إلا لأحتفظ بك لرجلك ، لأنى عرفت أنها خدعة من معاوية ، فقلت أفسدها عليه !

ابن سلام — (يأخذ يد الحسين فيقبلها ، وكذلك تفعل أرينب)

الحسين — بارك الله لكما ... يا أرينب ! أنت طالق ... وأنا الذى سوف أعقد لكما ...

ابن سلام — إذن ليُرَد إلى ابن بنت رسول ما دفعه من مهر أرينب

الحسين — ولا ذاك يا ابن سلام ، بل هو هدية خالصة منى لها ولك ...

— ١٩ —

(فى منزل الخلافة بدمشق)

معاوية — والله يا ميسون لقد كنت أشد بَلَهاً من أبى الدرداء إذ أرسلته فى مثل هذا الأمر !

ميسون — الحمد لله الذى أفسد عليك ما حاولت ! قلت لك نشغله برومية أو شآمية فما رضيت !

(١) أصفر : افتقر